المرأة الفاضلة من يجدها (١)

نطق بهذه الكلمات كبير الحكماء بعد ان اختبر النساء واخلاقهن اكثر من كل حكيم سواه · نطق بها ملك الشعب العبراني الذي منحه الله من العزّ والجاه والغنى والحكمة ما لم يمنحه لملك غيره من ملوك شعبه · لم يترك سبباً من اسباب السرور الاّ استخدمه · جمع حواليه من النساء السيدات والسراري الف امرأة · كساهنّ بالحرير وزينهنّ بالجواهر

نطق بها الملك سليمان في دور انقلاب سياسي اجتماعي طرأ عَلَى بلاده · دور انتقال من بساطة الملك وخشونة المعيشة الى حال الرفاه والبذخ والجاه · دور انتقال من عصر الملك الراعي داوود بن يسي الى عصر سليمان باني الهيكل الفخيم وصاحب المجد الباذخ والغنى الوافر والزوجات العديدة والمركبات التي لاتحصى · دور انتقال من انفراد الشعب العبراني وعزلته الى دور الاختلاط بامم الارض الغريبة واقتباسه عوائدها واكتسابه منها الصنائع والفنون الجميلة

دخلت الادوميات والصيدونيات والحثيات الى شعب اسرائيل بجمالهن الساحر وعوائدهنّ الاجنبية وميلهنّ الى القصف والتهتك والاسترسال في التنعم بالملابس والمآكل والمشارب فاملن قلب سليمان وراء آلهة اخرى وجلبن الى شعبه الشرّ والويلات ·

رأى سليمان الشرّ الذي جلبته الى قصره وبلاده النساء الاجنبيات فحزنت نفسه وضاق صدره من خداعهن وكذبهن وانغماسهن بالملذات والملاهي والكسل فتاقت نفسه الى بساطة المرأة العبرانية كما كانت في عهد ابيه فصرخ من اعماق

(١) ألقي هذا الخطاب في الاحتفال السنوي لجمعية بنات الشفقة الارثوذكسية في زحله

فؤاده صرخة البائس الحزين — امرأة فاضلة من بجدها . بها يثق قلب زوجها . لا تاكل خبز العسل . تمد يديها الى المغزل .

بلادنا الان ايها المواطنون الاعزاء في دور انقلاب غريب دور انتقال من الانفراد الى الاختلاط الكلي بالاجانب . فهم قد دخلوا بلادنا من عهد غير بعيد ونحن في جهل عميق وتقهقر محزن ولكن مع تأخرنا وجهلنا كان لنا حسنات وفضائل يحسدنا عليها عقلاؤهم . حملوا الينا المضرّ والنافع من العوائد والافكار والازياء . بناتنا وابناؤنا هاجروا ولا يزالون يهاجرون من كل قرية ومدينة الى اميركا واوروبا واوستراليا وفي دور هجرتهم يمتزجون بالافرنج ويرون عوائداً تختلف عن عوائد ابائهم واجدادهم فيجبرون بحكم ناموس تقلد الضعيف للقويّ ان يكتسبوا عوائد الافرنج وازياءهم . والان بعد ان دكت اركان الحكم الاستبدادي لم يبق مانع في وجه المدنية القادمة من جهة الغرب فغنى سوريا الطبيعي وجمالها وخيراتها المدفونة في اراضيها ستجذب اليها من الافرنج اضعاف ما قدم اليهـا في عصر الجور والاستبداد وبهذا سيتعاظم اختلاطنا بالافرنج . ليس من ينكر ان تمدن الغرب اسمى من تمدننا الحاضر وان الافرنج قد سبقونا بمراحل في مضمار الحضـارة ولكن في الغرب يوجد افات وشرور وموبقات ترتعدمنها فرائص الشرقية وجلاً .

المرأة الافرنجية الفاضلة المتعلمة بلغت من التهذيب والارتقاء والفضائل ما لم تبلغه المرأة الشرقية بعد . ولكن المرأة الافرنجية الشريرة قد تفننت في ضروب الفسق والشرّ ونزلت الى احط دركات القصف والتهتك . وزد عَلَى ذلك ان بعض عادات الافرنج التي لا تحسب معيبة في بلادهم تضرنا ان اقتبسناهـا الان وذلك للاختلاف في الطباع والمشارب والتباين في التربية والافكار الموروثة . فيحق لنا وخيول التمدن الافرنجي بجسناته وسيآته قد صارت عَلَى الابواب ان نصرخ مع

سليمان الحكيم ليس صرخة القنوط واليأس بل صرخة الرجاء والامل — المرأة الفاضلة من يجدها — فهي التي تطالبها بلادها بتمييز الغث من السمين . هي التي تطالبها بلادها سواء اختلطت بالافرنج في الوطن او المهجر ان تقتنع بالحسن والمفيد من افكار الاجنبيات وتنبذ المضرّ والسيء . هي المسؤلة عن المدافعة عن فضائل المرأة الشرقية والحرص على ما ورثته من حسنات الحشمة والعفاف .

المرأة الفاضلةهي التي لا تعتدُّ بالعرضي التافهوالظواهر الكاذبة بل تطلب ان تتعلم من مدنية الغرب الجوهري الثابت المفيد . اياها يرجو الوطن ان تبذل القوى لردّ سيول الشرور الجارفة من الغرب ولفتح الاذرع والابواب لقبول فضائل الافرنج والانتفاع بعلومهم واتابهم .

ان تسلحتِ ايتها الشرقية الفاضلة بالحكمة والشجاعةالادبية تردّين عن بلادك منكرات الغرب وأستخدمين محاسنه لتوطيد اركان العمران والسعادة والتقدم بين ابناء جنسك وان ظهرت ضعفاً ومالت نفسك الى زخارف التمدن الافرنجي وحسبت ان المدنية هي في تقليد سيئات الافرنج تضيفين الى فقر بلادك التعيسة ويلاً وثبوراً وتساعدين مظالم الاعصر الغابرة على سلب الشرق استقلاله الاجتماعي والسياسي

عليكِ ايتها المرأة الفاضلة يتوقف مستقبل شعبك وبلادك اكثر مما يتوقف على زوجك واخيك لانك انت مربية اولادك رجال المستقبل . فاعلمي انك انتِ المسؤلة امام الله والتاريخ . ان تصرفتِ بالتعقل والرزانة والحكمة اسعدتِ وطنك وكنتِ اثمن من الجواهر وان سلتِ نفسك والعياذ بالله للطيش والغرور فانت ستجرّين سوريا الى هاوية الشقاء والتعاسة .

المرأة ايها المواطنون قوة فعالة تعظم وتفيد ان أحسن استعمالها وتضعف وتضرّ ان أهملت او اسيء اليها .

انني ضيف جمعية من الاوانس الفاضلات وربما يظن البعض ان المقام يستدعيني الى الافراط في الثناء على المرأة والمبالغة في تعداد حسناتها اما انا فاني أجل جمعية بنات الشفقة عن ان تطلب التملق والمداهنة وعدا عن ذلك فاني رجل يكره الرياء وان ارضى ويحب الحقيقة وان جرحت . ليس من غرضي الآن البحث عن المرأة بحثاً علمياً تاريخياً ولا تعداد اراء الفلاسفة والعلماء في حسناتها وسيأتها .

فقد زعم بعضهم انها سبب كل الشرور وقال فئتشوا عن المرأة فانكر عليها حقوقها وامتيازاتها . وبعضهم تمادى في الجور عليها حتى انكر عليها وجود نفسها واخرون نسبوا اليها كل خير وبر وبالغوا في مدحها حتى زعموا ان سماء الرجل منحصرة في الحصول على التمتع برضاها وبرأى عينها النابلة وخدها الفتان . وقالت فئة ثالثة بلسان ظريف افرنسي « بارك الله في المرأة لا نقدر ان نعيش معها ولا ان نعيش بدونها » * ولكني لا ارى فيها هذا ولا ذاك فالمرأة في اعتقادي اخت الرجل تختلف عنه قليلاً بمظاهر عواطفها وقواها العقلية . فهي تحب كما يحب وتبغض كما يبغض تحسد كما يحسد وتطلب الانتقام كما يطلبه . ان نشأت في وسط الفضيلة وكانت فطرتها الشخصية ميالة الى البر كانت ملاكاً كريماً وان شي تربت في مهد الشر وتسلطت على عقلها عوامل الجهل وسطت على قلبها قوات الفجور تسقط كما يسقط الرجل — قل عنها ما شئت وصفها كما اردت فكلنا نهوى اعينها النجلاء . نسعى بكل قوانا للحصول على رضاها ونبذل النفس للدفاع عنها . وسيبقى هذا الهوى — وان شئت قسمه الجنون — حتى تطوى الصفحة الاخيرة من تاريخ الانسان . فلا غرو إذا رضخت للحاظ المها اسود الرجال في كل عصر وقطر ولا غروَ اذا قال الملك العربي الشاعر

ما لي تطاوعني البرية كلها واطيعهن وهنّ في عصياني

ما ذاك الاّ ان سلطان الهوى وبه قوين اعزّ من سلطاني

يروى انه كان لرجل فارسيّ ثلاثة نساء وولد واحد واذ لم تكن حياته مع زوجاته هنيئة نعيمة طلقهن وطلب العزلة مع طفله في جبل من جبال فارس · لكرهه نساءه كره الجنس باجمعه ونوى ان يمنع ابنه عن رؤية النساء وعن معرفة وجودهن في الدنيا ولما بلغ الابن سن الرشد نزل به ابوه من الجبل الى مدينة طهران فاراه جوامعها الفخيمة واسواقها وبناياتها ومتنزهاتها وجنائنها وبعد ان اراه كلما يستحق الزيارة تركا طهران قاصدين مأواهما في الجبل وبينما هما سائرين وقعت عين الشاب على امرأة تخطر كالغزال متشحة وعلى وجهها حجاب يخفق قلبه وسأل والده ما هذا فاجابه ابوه هذا الشيطان الرجيم لا تنظر اليه فاطاع الشاب اباه وهو مشعر بعواطف نحو ذلك الشيطان ما تعودها قبلاً · ولما بلغا الجبل سأل الاب ابنه كيف احببت طهران يا ولدي ؟ فاجاب الولد بكل حرية وبساطة

- يا ابي لا احب في طهران شيئاً غير الشيطان الذي زجرتني لاني نظرت اليه ·

شحاده شحاده

مصر

مسؤلية الامهات

تابع ما قبله

القسم الثالث وهم اصحاب الارادة القادرون على كبح جماح انفسهم والحكم على ارادتهم وعواطفهم واميالهم - وهذه الصفة هي كحجر الزاوية في بناء شخصية الانسان ونفسه فبواسطتها يتغلب الانسان على الحدّة والطيش وبحكم الارادة يستعين العقل والضمير على اخضاع الشهوات والطبيعة الحيوانية - باخضاع الارادة يمكن الانسان من ارتقاء سلم المجد والشرف فيهذب نفسه ويتمم واجباته نحو الله